الى جانب ذلك ، ثمة الانقسام التاريخي المعروف بين المدينة والريف والعلاقة غير المتوازنة بينهما ، ناهيك عن تشرذم السكان الزراعيين الى كثرة من القرى المعزولة (حوالي ٨٥٠ قرية ، تشكل ٧٠٪ من مجموع السكان) ، القائمة بذاتها والمكتفية نسبيا · هذا الانقسام والتشرذم ، مضافا اليها تركز الحياة الثقافية والسياسية في المدينة ، جعلت الريف الفلسطيني ، شأن الارياف العربية الاخرى ، يستمر في كونه لا شيء Néant من الناحية السياسية ، طيلة فترة الصراع مع الصهيونية · نقطة ضعف المجتمع العربي ، لا الفلسطيني فقط · بل مقتله تتركز في ريفه · في ١٩١٨ ، كان ، كما يقول « اوردمسي غور » ، المسلمون القرويون والمسلمون الملاكون موالون لبريطانيا (٥) ·

المدينة الفلسطينية هي أيضا ، بدورها ، كانت مفتتة ومنقسمة عشائريا أو عائليا · والمنافسات العائلية التقليدية الموغلة في القدم (وبخاصة الخصومة بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي) بقيت بوجه عام عنصرا مهيمنا في السياسات الفلسطينية ، حتى في أشد الفترات توترا واحتداما ، سواء مع الحركة الصهيونية او مع الانتداب البريطاني ·

ان مجتمعا كهذا ، غير مسيس او ما قبل سياسي Pré - Politique ، لم يستطع ان يواجه الغزو الاستعماري البريطاني بمقاومة (١٧ ـ ١٩١٨) · « طبقة الافندية كانت منقسمة وعاجزة » (٦) ، « ولم يكن ثمة مؤشر لدى السكان الاصليين على وجود تطلعات قومية لاجل الاستقلال ، والشعور القومي العربي ضعيف جدا » · وفيمابعد ، اي في أواخر العشرينات ، ومع تصاعد النشاط الصهيوني وكرد فعل عليه ،يولد شعور وطني فلسطيني ـ اسلامي ملتبس، شعور تضامن ازاء الغزو القادم من الخارج ·

في هذا السياق ، كان طبيعيا ان تكون الحركة الوطنية الفلسطينية ، في كافة اطوارها ، حركة وطنية تقليدية خالصة او تكاد · وتجلى هذا واضحا في هذا التمفصل او الاندماج بين الديني والعشائري في قيادتها التاريخية (٧) · من هنا كانت قواعدها المجتمعية تتمثل بالوجاهات المحلية وبرجال الدين المسلمين في آن ، ووعيها كان مشيخيا · القوى السياسية شبه الحديثة (حزب الاستقلال) حوصرت من قبل القوى التقليدية وبقيت هامشية · بسبب هذه البنية السياسية المفوتة ، المماتة ، تكشفت عن عجز واضح عن بناء احزاب سياسية بالمعنى الحديث للكلمة ، فبقيت السياسات الفلسطينية · انعكاسا للمنافسات التقليدية ، الخسيسة ، الحقيرة ، التي قامت منذ اجيال واستمرت بين العشيرتين الرئيسيتين ، الحسيني والنشاشيبي ، فاستنفدت طاقات النضال الوطني الفلسطيني وسهلت انتصار الصهيونية ·

وعلى هذا كان الجسم السياسي الفلسطيني (فعليا : طبقة « الافندية » المستندة على قاعدة مجتمعية عشائرية ومدينية) صغيرا ، لا لان طبقة «الافندية»